حوليات آداب عين شمس المجلد 50 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2022)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

المحظور اللغوي (التابو) في لغة المشنا

د. ميادة شهاب*

مدرس المشنا والدراسات اللغوية– كلية الآداب جامعة عين شمس
maiadashehab@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/1/29
تاريخ قبول البحث: 2022/2/18
تاريخ النشر: 2022/12/29

المستخلص:

يتناول البحث دراسة لغوية دلالية لعبرية المشنا في ضوء علم اللغة الاجتماعي. تتناول الدراسة مجموعة من المفردات والتراكيب التي رأى فقهاء المشنا في استعمالها شكلًا من أشكال عدم التهذب، وعدم احترام السامع. تجنب فقهاء المشنا تلك المفردات والتراكيب تمامًا واعتبروها محظورات لغوية لا يجوز استعمالها. ووضعوا لها بدائل، تعبر عن المعنى المقصود. وجاء ذلك نتيجة لتأثرهم بأخلاق الحضارة الهلينستية في الأساس، ثم غيرها من الحضارات مثل الحضارة البابلية والساسانية.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2022.

المحظور اللغوي (التابو) في لغة المشنا
دراسة لغوية دلالية في ضوء علم اللغة الاجتماعي

تمهيد

يعد هذا البحث دراسة لغوية دلالية لعبرية المشنا في ضوء علم اللغة الاجتماعي. تتناول الدراسة مجموعة من المفردات والتراكيب التي رأى فقهاء المشنا في استعمالها ضربًا من الغلظة وعدم اللياقة، التي قد تصل في بعض الأحيان، من وجهة نظرهم إلى ما يمكن وصفه بإساءة الأدب وعدم احترام السامع الذي يتم في حضرته التفوه بمثل تلك الألفاظ. تجنب فقهاء المشنا تلك المفردات والتراكيب تمامًا وعدوها من المحظورات اللغوية التي لا يليق استعمالها. ووضعوا لها بدائل، عدوها كناية تعبر عن المعنى المقصود وتحفظ وقار المتحدث والسامع على السواء. وجاء بعض هذه البدائل واضحًا في دلالته على المعنى المقصود؛ لمنطقية الكناية، بينما جاء بعضها غامضًا، يحتاج للدرس والإيضاح.

أهمية البحث

ترجع أهمية البحث إلى كونه إحدى الدراسات اللغوية في حقل عبرية المشنا؛ تلك المرحلة من اللغة العبرية التي تتسم بالغموض اللغوي في كثير من أجزائها؛ ويرجع ذلك لكونها لغة تشريعية فقهية جرت على ألسنة فقهاء عصرها، الذين عرفوا بالتنائيم، أو معلمي الشريعة الشفهية. وتتطلب دراسة هذه اللغة توضيح الخلفيات التاريخية والمؤثرات الثقافية والحضارية التي استقى منها هؤلاء الفقهاء أفكارهم ولغتهم التي عبروا بها عن تلك الأفكار.

وعلى قدر ما قدم الباحثون العرب من دراسات قيمة لعبرية المشنا، لم يحظ التابو (المحظور اللغوي) في المشنا باهتمامهم على نفس القدر.

وترى الباحثة أن هذه الدراسة قد تساهم في إزالة الغموض اللغوي عن بعض مفردات المشنا وتراكيبها؛ وتأمل أن تكون نواة لإعداد معجم متخصص يوضح دلالة ألفاظ وتراكيب المشنا التي استعملها الفقهاء وجعلوها بديلًا لألفاظ أخرى ارتأوا أنها غير مناسبة أو غير لائقة.

منهج البحث

يتبع البحث المنهج الوصفي في ضوء علم اللغة الاجتماعي والنفسي تحديدًا؛ لما لهما من صلة وثيقة بمادة البحث. ولكون الأسباب التي أدت إلى الحظر اللغوي وانتحال ما يكني عنه في عبرية المشنا، هي أسباب اجتناعية ونفسية في المقام الأول.

مقدمة

وصف فقهاء المشنا لغتهم بأنها لغة مهذبة أو نقية؛ وقصدوا بذلك أنهم قد أزالوا عنها فاحش القول من مفردات وتراكيب تحمل من البذاءة أو السوقية أو الغلظة ما لا يليق أن يجري على ألسنة الفقهاء؛ فإذا ما دعتهم الضرورة إلى التعبير عن معاني تلك الألفاظ، كنوا عنها بغيرها من حسن القول مما يناسب مكانتهم وأخلاقهم، ومما يحفظون به كرامة ومكانة من يتلقون عنهم فتاوى الدين وتعاليمه. فجاء في التشريع الأول من الفصل الثامن من باب مجلس القضاء الأعلى، وفي التشريع الحادي عشر من الفصل السادس من باب الحائض: "إلا أن الفقهاء تحدثوا بلغة منتقاة".

وقد أدى ذلك إلى وجود قائمة من المحظورات اللغوية (التابو) في لغة فقهاء المشنا في عدة مجالات، يمكن إجمالها فيما يلي:

1- الألفاظ الدالة على العلاقات الجنسية، سواء كانت شرعية أو محرمة.

2- الألفاظ الدالة على بعض العمليات الحيوية في جسم الإنسان، بعضها يخص الرجال، مثل خروج السائل المنوي، وبعضها يخص النساء، مثل الحيض والحمل. وبعضها يخص الجنسين مثل الإخراج.

3- الألفاظ الدالة على الأعضاء التناسلية للجنسين.

4- بعض الصفات الخلقية التي قد تبدو غريبة أو غير شائعة، بحيث يتميز بها صاحبها تمييزًا يمكن أن يسبب له أذى نفسيًا حال الإشارة إليها.

5- بعض الأمراض أو الإصابات المزمنة.

تعريف علم اللغة الاجتماعي

يمكن تعريف علم اللغة الاجتماعي على أنه دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع. ويعد هذا العلم واحدًا من أهم مجالات النمو والتطور في الدراسات اللغوية، الذي تفرد لدراسته الدوريات العلمية على غرار الدوريتين الانجليزيتين: language in society (اللغة في المجتمع) و international journal of the sociology of language (الدورية الدولية لعلم اجتماع اللغة).

وتقع دراسة اللهجات والدراسات التي تتناول العلاقات بين معاني الكلمات والثقافات المختلفة ضمن إطار علم اللغة الاجتماعي. وبدءًا من ستينات القرن الحالي تم استحداث اتجاه جديد في علم اللغة الاجتماعي؛ ألا وهو توظيف هذا العلم للكشف عن الكثير مما غمض من طبيعة اللغة وطبيعة المجتمع.

وينقسم علم اللغة الاجتماعي، شأنه شأن الكثير من العلوم، إلى جزأين: اختباري ونظري. ويقصد بالجزء الأول ما يختص بالخروج إلى الميدان لجمع المادة العلمية. ويقصد بالجزء الثاني الخلو إلى هذه الحقائق المتجمعة والتفكير فيها وتمحيصها، أو ما يعرف بمصطلح armchair approach (الجلوس والتفكير)؛ وهو منهج في دراسة علم اللغة الاجتماعي يستدعي تكوين إطار تحليلي يشمل مجموعة من المصطلحات، مثل: اللغة والكلام والمتحدث والمتلقي وموضوع الخطاب[1].

ويقسم الدكتور إبراهيم أنيس الدلالة إلى أربعة أنواع: صوتية، وصرفية، ونحوية، ومعجمية أو اجتماعية[2].

والأخيرة هي التي يختص بها بحثنا هذا، فلم يستبعد فقهاء المشنا بعض الألفاظ والتعبيرات ويعدوها من المحظورات (التابو)، التي تجنبوها وبحثوا لها عن بدائل، إلا من منطلق اجتماعي أخلاقي، وحفاظًا على اللياقة والاحترام من وجهة نظرهم.

وعن أثر العامل الاجتماعي على خصائص اللغة وتطورها، يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: "تتأثر اللغة أيما تأثر بحضارة الامة ونظمها وتقاليدها، واتجاهاتها العقلية ودرجة ثقافتها ونظرها إلى الحياة وشؤونها الاجتماعية العامة؛ فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في أداة التعبير. ولذلك تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب.

فبالوقوف على المراحل التي اجتازتها لغة ما، وعلى ضوء خصائصها في كل مرحلة منها يمكن استخلاص الأدوار التي مر بها أهلها في مختلف مظاهر حياتهم. فكلما اتسعت حضارة الأمة، وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها، ورقى تفكيرها وتهذبت اتجاهاتها النفسية، نهضت لغتها وسمت أساليبها. وانتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها[3].

ويظهر ذلك واضحًا في لغة فقهاء المشنا، الذين انتقلوا من البداوة إلى الحضارة فتشبعوا بالحضارة الهلينسية، كما انصهروا في حضارة بلاد الرافدين، فتهذبت لغتهم وارتقت أساليبهم، ودققوا في اختيار التعابير والألفاظ حتى تأتي مقبولة لا تستهجنها الآذان ولا تنفر منها الأنفس.

ودارس التطور الدلالي في لغة من اللغات يستعرض أمامه "فيلمًا" من الاحداث التاريخية لتلك الامة التي تتكلم هذه اللغة. وتلقي دراسته ضوءًا قويًا على تطور حياتها الاجتماعية[4].

ومقاييس اللياقة وعدم اللياقة فيما يتعلق باللغة تختلف باختلاف العصور، وتختلف في كل عصر باختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد. فهناك بعض العبارات أو الكلمات التي يعدها مجتمع ما غير لائقة في مجالات معينة، ويرى في النطق بها جفوة أو غلظة أو سوء أدب[5]. ومع ذلك هناك العديد من المحرمات أو محظورات اللغة التي تشترك فيها معظم الجماعات الإنسانية، أو تكاد تجمع على التلطف عند الحديث عنها، وتجنب الجهر بصريح عباراتها وألفاظها. ومعظما ما يختص بالموضوعات الجنسية، في المقام الأول، سواء أسماء الأعضاء، أو الممارسات الجنسية[6].

كما وجد فقهاء المشنا، مثلًا، أنه من سوء الأدب ومن عدم اللياقة الإشارة بألفاظ صريحة إلى بعض الأمراض التي يصاب بها المرء، أو وصمه بصفة تبين إصابة دائمة لحقت به، فاستهجنوا أن يشيروا إلى من فقد بصره بالألفاظ المعتادة التي تصف تلك الحالة، واختاروا بدلًا منها التركيب الإضافي الوصفي סגי נהור الذي يعني: عظيم الضياء.

ومن أبرز خصائص الكناية التعبير عن اللفظ القبيح المستهجن أو الذي لا ترتاح الأذن إلى سماعه بالجميل المألوف الذي تتفتح له الآذان[7]. ومن أسباب جمال الكناية وبلاغتها ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه[8].

نشأة علم اللغة الاجتماعي وتاريخه

تعود العلاقة بين علم اللغة وعلم الاجتماع إلى القرن الثامن عشر؛ حين شغل الفلاسفة والمفكرون تساؤلات حول العلاقة بين الشعوب ولغاتها. وبحلول القرن التاسع عشر، ظهر الجدل حول اعتبار علم اللغة أحد العلوم الطبيعية، أو تصنيفه كاحد العلوم الاجتماعية. فقد ظهر عند فلاسفة اليونان اتجاه يمكن من خلاله تصنيف علم اللغة كأحد العلوم الاجتماعية؛ كما هو الحال عند أفلاطون وأرسطو، الذي عالج اللغة باعتبارها رابطة اجتماعية.

وقد عرف "دي سوسور" اللغة بأنها ظاهرة اجتماعية في الأساس. ينبغي دراستها في ضوء علاقتها بالمتحدثين بها، ومشاعرهم النفسية. وترجع جميع المؤثرات في اللغة إلى المجتمع وما يعتريه من ظواهر اجتماعية[9].

المجتمع اليهودي في فترة المشنا

يطلق مصطلح (فترة المشنا) على القرون الميلادية الثلاثة الأول من حياة اليهود[10]؛ ذلك أن هذه الفترة تعد بحق العصر الذهبي للمشنا وفقهائها، برغم أن تاريخ المشنا يعود لقرون عدة قبلها، إلا أن هذه الفترة تعد فترة بلورة وازدهار اليهودية الربانية التي صنعها فقهاء المشنا، وحلت شيئًا فشيئًا محل شريعة بني إسرائيل السابقة عليها، التي تعرف بشريعة موسى أو شريعة الهيكل. كما يطلق على هذه الفترة أيضًا الفترة الهلنستية المتاخرة أو الرومانية، أو الفترة المسيحية

المبكرة. في هذه الفترة قويت شوكة السلطة الربانية اليهودية، التي يمثلها فقهاء المشنا، وغلبت غيرها من الهياكل داخل الاوساط اليهودية في الشرق الأدنى القديم (بابل وكنعان). لقد تركز الوجود اليهودي، بشكل أساسي، خلال تلك الحقبة، في الاسكندرية وبابل وآسيا الصغرى. وتوضح كتابات الفيلسوف اليهودي فيلون السكندري ما حققه المجتمع اليهودي من تقدم في تحصيل الفلسفة والمنطق. أما عن الوجود اليهودي في بابل فقد بلغ أوج ازدهاره الثقافي خلال الحكم الساساني 226م. وقد أصبح زعماء اليهودية الربانية (فقهاء المشنا)، في هذا العصر، بارعين في تحقيق التوازن بين رغبتهم في الهيمنة على اليهود والتأثير في مجتمعهم، وبين تجنب تحدي القوى الخارجية، الرومانية والبابلية [11].

ويرى بعض الباحثين أن مصطلح (فترة المشنا) يتجاوز القرون الثلاثة الأولى للميلاد. ويجعله ممتدًا حتى القرن السابع الميلادي. فتتسع بذلك دائرة المؤثرات الحضارية التي خضع لها الوجود اليهودي في فترة المشنا لتشمل، إلى جانب الحضارة الهلينستية والساسانية كما سبق الذكر، المؤثرات الفارسية والعربية الإسلامية[12].

وهكذا نجد أن المجتمع اليهودي في فترة المشنا مجتمع متأثر بحضارات عدة؛ الهلينستية والبابلية والفارسية والإسلامية. وقد انعكست أخلاق تلك المجتمعات المتحضرة، بطبيعة الحال، عليه. وهو الأمر الذي يبدو واضحًا جليًا في صوغ فقهاء المشنا لأحكامهم وفتاواهم بمفردات منتقاة، لا يأنفها السامع. خاصة وأن المضمون التشريعي للمشنا يقتضي الحديث عن أمور قد يتحرج المرء منها؛ مثل العلاقات الزوجية، وما يتصل بها من ممارسات، ما يحل وما يحرم، ومثل أمور تختص بالجسد وطهارته، وما قد يعرض للمرء من ضروب النجاسة ومسبباتها. كل هذه الأمور طرحها فقهاء المشنا بلغة نقية مهذبة، تصل بالسامع إلى المعنى المراد، دون أن تتسبب له في حرج، او تخدش حياءه وتنزع وقاره.

وترى الباحثة أن أكثر تلك المجتمعات تأثيرًا على اليهود في فترة المشنا هو المجتمع الهلينستي؛ إذ يمكن وصفه بأنه المؤثر الأول الذي خضع له المجتمع اليهودي في هذه الفترة، أي أنه المجتمع الذي شهد طور الطفولة المبكرة لليهودية الربانية، وهو الطور الأكثر تأثيرًا في حياة الأشخاص والمجتمعات. كما أنه الطور الذي شهد القرون الميلادية الثلاثة الأولى، والتي سبق الذكر أن بعض الباحثين، يجعل فترة المشنا قاصرة عليها؛ لذا ترى الباحثة ضرورة إلقاء الضوء على الميثاق الأخلاقي للمجتمع الهلينستي.

أخلاق المجتمع الهلنستي

يوصف المجتمع الهلنستي، من الناحية الأخلاقية، بأنه مجتمع يقترب من المثالية، عماده الفضيلة التي تتطور نتيجة لثلاثة عوامل: طبيعة المرء، وعاداته المكتسبة، وإعمال عقله للتميز بين ما يصح وما لا يصح أخلاقيًا. فالفضيلة ليست مجرد معرفة، ولكنها معرفة تتضمن اختيارًا؛ اختيار كل ما هو نبيل. وهكذا يتم تعريف الفضيلة على أنها فهم سوي ينتج عنه اختيار صحيح، وتجنب لكل ما هو قبيح أو مسيء. وفي هذا الإطار يطرح أرسطو سؤالًا: "أينبغي للمرء أن يحب نفسه أكثر من حبه للآخرين أم العكس؟" ويجيب أرسطو على النحو التالي: "يجب أن نكون محبين لأنفسنا. لأن حب المرء لذاته يجعله يتنافس مع الآخرين ليكون الأكثر فضيلة، وهذا النوع من المنافسة ليس عملًا أنانيًا؛ لأنه سوف ينعكس بالخير على الآخرين، وسوف يجعل الإنسان أكثر ذكاءً وأكثر لياقة في تعامله مع الآخر"[13].إن الغرض الذي استهدفه أرسطو هو

الكشف عن النوع الأمثل والاكمل من أنواع السلوك الإنساني الذي ينبغي أن يسلكه الإنسان في حياته بحيث يحقق الخير الأقصى الذي وجد من أجله.[14]

وهذه هي البيئة التي تبلورت فيها المشنا وانطبعت بأثرها الأخلاقي. وتذخر الكتابات اليهودية في تلك الفترة بالعديد من الأدلة التي تؤكد الصلة الوثيقة بين الأخلاق والدين؛ تلك الصلة التي ترجع بالأساس إلى أن الله تعالى قد استعمل في كتابه المقدس عبارات أخلاقية بحتة؛ لذا تعد الأخلاق بذاتها عبادة لأنها تقليد للذات الإلهية المباركة.[15]

تعريف المحظور اللغوي (التابو)

عرف عالم النفس سيجموند فرويد التابو على النحو الآتي: "تابو كلمة بوليزينية نجد صعوبات في ترجمتها لأننا لم نعد نملك المفهوم الذي تدل عليه. كان هذا المفهوم ما يزال شائعًا عند الرومان القدماء وكلمة saoer عندهم تعني ما يعنيه التابو عند البولينيزيين، كذلك أيوس لدى الإغريق، وكادوش لدى العبرانيين كانت تعني ما أراده البولينيزيون بتابوهم وما أراده كثير من الشعوب في أمريكا وأفريقيا واواسط آسيا بعبارات نظيرة. وبالنسبة لنا يتشعب معنى التابو إلى اتجاهين متعاكسين. يعني لنا من جهة: مقدس، مبارك. ومن جهة أخرى: رهيب، خطير، محظور، مدنس. وضد تابو يسمى في البولينيزية: نوا، أي اعتيادي، متاح للجميع. بذلك يلتصق بالتابو شيء مثل مفهوم احتياط. كما أن التابو يعبر عن ذاته أساسًا في المحظورات والتقييدات. وعبارتنا "المهابة القدسية" تتطابق غالبًا مع معنى التابو."[16]

وبالفعل لا توجد ترجمة عربية دقيقة تعبر عن المعنى المقصود من كلمة (تابو)، وإن كانت معظم البحوث العربية قد اعتمدت مصطلح (المحظور اللغوي) باعتباره الأقرب للتعبير عن الفكرة. وتؤيد الباحثة استعمال هذا المصطلح؛ كونه يعبر عن المعنى المقصود.

ويعد مصطلحا اللامساس والتلطف من المصطلحات المستعملة للتعبير عن معنى التابو. يقول الدكتور أحمد مختار عمر: "تحظر اللغات استعمال بعض الكلمات لما لها من إيحاءات مكروهة، أو لدلالتها الصريحة على ما يستقبح ذكره، وهو مايعرف باللامساس أو التابو. ولا يؤدي اللامساس إلى تغير المعنى، ولكن يحدث كثيرًا أن المصطلح البديل يكون له معنى قديم، مما يؤدي إلى تغير دلالة اللفظ. فكان اللامساس يؤدي إلى التحايل في التعبير، أو ما يسمى بالتلطف. وهو في حقيقته إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولًا."[17]

إن التقييدات التابوية شيء مغاير للمحظورات الدينية أو الأخلاقية. فهي لا ترجع إلى أمر من الله، بل تحظر نفسها من نفسها. وتفترق عن المحظورات الأخلاقية بعدم اندراجها في نظام يقول عمومًا بضرورة التعفف ويعلل هذه الضرورة؛ فالمحظورات التابوية تفتقر إلى أي تعليل، ولا يعرف لها مصدر؛ فهي غير مفهومة بالنسبة لنا، في حين تبدو بديهية لمن يقع تحت سلطانها[18].

إن أهداف التابو متنوعة، وتستهدف:

1- حماية أشخاص معتبرين مثل زعماء العشائر والكهنة.

2- التأمين على الضعفاء مثل النساء والأطفال والناس العاديين عمومًا ضد سلطان المانا (القوة السحرية).

3- الحماية من الاخطار المقترنة بلمس الجثث وتناول بعض المأكولات[19]..

وهي ظاهرة لا بد أن تدرس في ضوء علم اللغة الاجتماعي. يقول الدكتور إبراهيم أنيس:

ولما كان عام 1923 ظهر كتاب the meaning of meaning لمؤلفيه ogden و Richard وفيه يعالج المؤلفان مشاكل الدلالة من نواحيها المتعددة المعقدة. ويبحثانها في ضوء النظم الاجتماعية وفي ضوء علم النفس من شعور وعاطفة. مما جعل لكتابهما قيمة علمية جليلة الشأن بين الدارسين لدلالة الألفاظ[20].

المحظور اللغوي عند فقهاء المشنا

إن مقاييس اللياقة وعدم اللياقة فيما يتعلق باللغة تختلف باختلاف العصور. وهي في كل عصر تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعيةفي المجتمع الواحد. كما يشترك في تحديدها عوامل أخرى كثيرة؛ فإنه يسوغ بين جماعة من الذكور أو بين جماعة من الإناث النطق بعبارات وكلمات لا يسوغ نطقها لو ضم المجلس شخصًا أو أكثر من الجنس الآخر[21].

وما يكون الأفراد عليه من حشمة وأدب في شؤونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينبعث كذلك صداه في لغتهم ألفاظها وتراكيبها ويتطور مدلول الكلمة في لغة ما تبعًا لتطور الشؤون الاجتماعية المحيطة بهذا الدلول. فكل تطور من هذا القبيل يتجه بمدلول الكلمة وجهة خاصة، وينحؤف به قليلًا أو كثيرًا عن أوضاعه الأولى[22].

ولقد كان تحول بني إسرائيل من الديانة الموسوية إلى اليهودية الربانية (التي تمثلها المشنا) بمثابة تغيير شامل في كل ما يتعلق بحياتهم ومنهجهم وأفكارهم، خاصة فيما يتعلق بموضوع التابو أو المحظور بصفة عامة[23].

إن كثرة استخدام الكلمة في مدلول ما، لحدوث ما يدعو إلى ذلك في شؤون الحياة الاجتماعية وما يتصل بها، يجردها مع تقادم العهد من مدلولها الأصلي ويقصرها على الناحية التي كثر فيها استخدامها؛ فكثرة استخدام العام مثلًا في بعض ما يدل عليه، لسبب اجتماعي ما، يزيل مع تقادم العهد عموم معناه ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله وكثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع لسبب اجتماعي ما تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم. وكثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي لسبب اجتماعي ما يؤدي غالبًا إلأى انقراض معناها الحقيقي وحلول هذا المعنى المجازي محله. واستخدام الكلمة في فن ما بمعنى خاص يجردها في هذا الفن من معناها اللغوي ويقصرها على مدلولاها الاصطلاحي ويدخل في هذا مصطلحات الآدابوالفلسفة والقانون والاجتماع والعلوم والفنون.[24]

وإلى مقتضيات الحياة الاجتماعية وشؤونها ترجع كذلك أهم الأسباب في نشأة كلمات لم تكن موجودة في اللغة من قبل، وفي هجر كلمات كانت مستخدمة فيها أو انقراضها انقراضًا تامًا[25].

ولعل أوضح الأسباب في ابتذال بعض الألفاظ، تلك التي تتصل بالناحية النفسية العاطفية؛ وذلك كان يكون اللفظ قبيح الدلالة، أو يتصل بالقذارة والدنس، أو يرتبط بالغريزة الجنسية. فهنا نلحظ ان كل اللغات تفقد بعضًا من ألفاظها التي تعبر عن هذه النواحي، فتندثر تلك الالفاظ ويحل محلها لفظ آخر أقل وضوحًا في دلالته، وأكثر غموضًا وتعمية. ومن الالفاظ دائمة التطور والتغير في دلالتها، تلك التي تشير إلى التبول والتبرز، فلا يكاد اللفظ منه يشيع حتى يمجه الذوق الاجتماعي، وتأباه الآداب العامة، فيستعاض عنه بآخر. فإذا عرضت اللغات للناحية الجنسية وما يتصل بها، رأينا التطور الدلالي أسرع، وشهدنا أن الكناية والتعمية مطلوبة مستحبة. فلأعضاء التناسل في كل لغة كلمات مبتذلة وأخرى محترمة ،

وللعملية الجنسية في كل لغة كلمات صريحة ينفر منها الناس، وأخرى مكنية يقبلون عليها. وكذلك كل ما يتعلق بالزنا او هتك العرض أو العربدة. وسر كل تلك التكنية أو التعمية هو ما استقر في ذهن الإنسان منذ القدم من الربط بين اللفظ ومدلوله[26].

وقد انعكست خصائص المجتمع المتحضر الذي عاش اليهود بين ظهرانيه خلال فترة المشنا على السلوك العام لهم؛ الأمر الذي نتج عنه شيئ من التحفظ عند الحديث عن امر من الأمور التي أشرنا إليها سابقًا باعتبارها من المحظورات.

ونوضح فيما يلي المجالات التي شمل المحظور اللغوي مفرداتها وتعابيرها في لغة المشنا، وما وضعه الفقهاء من بدائل، اكثر تلطفًا لها.

الألفاظ الدالة على العلاقات الجنسية الشرعية وغير الشرعية

استعمل فقهاء المشنا أكثر من تعبير للكناية عن إقامة العلاقة الزوجية، على النحو الآتي:

التركيب الإضافي תשמיש מיטה (استخدام الفراش)، فجاء في التشريع الأول من الفصل الثامن من باب الغفران (יומא): "في نهار يوم الغفران يحرم استخدام الفراش"؛ أي يحرم إقامة العلاقة الزوجية.

والتعبير עשה מעשה (فعل شيئًا) للكناية عن إقامة العلاقة الزوجية، فجاء في التشريع الخامس من الفصل الثاني من باب الأدعية (ברכות): "العريس يعفى من قراءة اسمع في الليلة الأولى لزواجه إن لم يكن قد فعل شيئًا بعد"؛ والمقصود: إن لم يكن قد دخل بعروسه بعد.

والتعبير אוכלת עמו (تأكل معه)، فجاء في التشريع التاسع من الفصل الخامس من باب عقود الزواج (כתובות): "تأكل معه من ليلة السبت إلى ليلة السبت". وجاء في التلمود البابلي: "ما المقصود بالفعل تأكل؟ قال الربي نحمان المقصود فعل الأكل بمعناه الحقيقي وقال الربي آشي: ليس كذلك ولكن المقصود هو إقامة العلاقة الزوجية.[27]" وجاء في التلمود الأورشليمي: "لجأ الفقهاء إلى انتقاء ألفاظهم.[28]"

والتعبير נהנית לי (ترجمته حرفيًا: صارت متعة أو متاعًا لي، والمقصود: استمتعت بها؛ أي وطئتها)، فجاء في في التشريع السابع من الفصل الثامن من باب النذور (נדרים): "من طلق زوجته وقال أقسم ألا أستمتع بها أبد الدهر".

كما استعملوا تعبيرًا آخرًا للكناية عن عدم إقامة العلاقة. فجاء في التشريع السابع من الفصل السابع من باب الطلاق (גיטין) "هذا هو طلاقك، طالما أني أعرضت عن وجهك ثلاثين يومًا". حيث كنى الفقيه بعبارة (أعرضتُ عن وجهك) عن هجر الزوج لزوجته وعدم إقامة العلاقة الزوجية.

واستعمل الفقهاء تعبيرات أخرى للكناية عن العلاقات الجنسية غير الشرعية على النحو الآتي:

استعملوا التعبير מדברת עם איש (تتحدث مع رجل) للكناية عن إقامة المرأة المتزوجة لعلاقة غير شرعية مع أجنبي عنها، فجاء في التشريع الثامن من الفصل الأول من باب عقود الزواج (כתובות): "إن رأوها تتحدث مع أجنبي عنها في السوق"، وجاء في التلمود البابلي: "ما المقصود بالفعل تتحدث؟ قال الربي زعيري: المقصود اختلى بها. وقال الربي آسي: المقصود جامعها[29].

واستعملوا الفعل קלקלה (تصرفت برعونة) للكيانة عن إتيان المرأة فاحشة الزنى، فجاء في التشريعين الأول والثاني من الفصل العاشر من باب الأرامل دون أبناء (יבמות): "من سافر زوجها إلى مدينة بعيدة ثم جاءوا وقالوا لها مات زوجك وأباح الفقهاء لها الزواج من آخر، ثم ذهبت وتصرفت برعونة يلزم أن تقدم قربانًا لأن الفقهاء لم يجيزوا لها إلا الزواج الشرعي." وجاء في التلمود البابلي: "ما المقصود بقولهم تصرفت برعونة؟ يقول الربي اليعزر: المقصود أنها زنت."[30]

الألفاظ الدالة على بعض العمليات الحيوية في جسم الإنسان وبعض الممارسات

استعمل الفقهاء التعبيرين לכסות את עצמה – לגלות את עצמה (لتغطي نفسها – لتكشف نفسها) وقصدوا به (أن تستر عورتها أو تكشف عورتها) كما جاء في التشريع السابع من الفصل الأول من باب الزوجة المتهمة بالزنا (סוטה).

استعمل الفقهاء الكلمتين רעי و ראי للكناية عن الغائط (צואה). واستعملوا التركيب الإضافي מי רגלים للكناية عن البول (שתן). كما استعملوا التعبير עשה צרכיו للتعبير عن قضاء الحاجة وهو مكافئ لنظيره العربية تمامًا، فجاء في التشريع الأول من الفصل التاسع من باب الحائض (נידה): "من كانت تقضي حاجتها ورأت دم حيضها"

الحديث عن أو مع شخص ذي قداسة

أوضحنا سابقًا التزام الفقهاء اللغة المهذبة وتجنب المحظور اللغوي عند الحديث عن الوظائف الحيوية لجسم الإنسان. إلا أن الأمر يصبح أكثر صرامة وأكثر ميلًا للياقة حين يتعلق بأحد الشخصيات المقدسة، مثل الكاهن الأكبر. فالكاهن الأكبر، شأنه شأن أي إنسان، يمكن أن يتعرض لما يفسد طهارته، ويفسد بالتالي صلاحيته الشرعية لبعض الممارسات المقدسة، إلى أن يعاود طهارته. ولما كان على الفقهاء أن يحددوا الأسس الشرعية لمثل تلك الأحوال، فقد آلوا على أنفسهم التحلي بأعلى درجات اللياقة التي تتمثل في اختيار الألفاظ التي تعبر عن مرادهم بما لا يحمل ما يرونه وقاحة في حضرة الكاهن الأكبر، أو في بعض الأحيان تجنب الحديث عن الأمر في صورة ألفاظ صريحة أو حتى كناية والاكتفاء بفهمه ضمنًا. على سبيل المثال، جاء في التشريع الرابع من الفصل الأول من باب الغفران (כיפורים): "طوال الأيام السبعة لا يمنعون عنه (أي الكاهن الأكبر) الطعام والشراب.وفي مساء يوم الغفران ومع حلول الظلام لا يتيحون له الكثير من الطعام لأن كثير الأكل يؤدي إلى النوم". في هذا التشريع نجد فقهاء المشنا وقد التزموا أقصى حدود اللياقة اللغوية وتجنبوا تمامًا الإتيان بأية ألفاظ صريحة تعبر عن مقصدهم لأنهم يتحدثون عن الكاهن الأكبر الذي بجب أن يكون طاهرًا في يوم الغفران حتى يمكنه القيام بالطقوس الشرعية للاحتفال بالعيد. وبقاء الكاهن الأكبر طاهرًا يقتضيه ألا يأتيه شيء من الغائط أو من الحلم الذي يؤدي إلى الجنابة؛ لذلك رمز الفقهاء في التشريع إلى تجنب قضاء الحاجة بتجنب الإكثار من الأكل عشية يوم الغفران، ورمزوا إلى تجنب حدوث الجنابة بالحرص على ألا ينام الكاهن الأكبر ليلة عيد الغفران.

الألفاظ الدالة على الأعضاء التناسلية للجنسين

جاء في التشريع الخامس من الفصل السابع من باب الأدعية (ברכות): "המאושכן ובעל גבר" وجاء في تفسير راشي: המאושכן خصيتاه كبيرتان (من אשך) و בעל גבר عضوه الذكري كبير. وقد قال الربي عوفديا من برطنورا أن المقصود בעל אבר ولكن الفقيه استبدل الجيم بالألف كي ينتحل لغة مهذبة.

جاء في التشريع الثامن من الفصل الأول من باب الخيام (אוהלות): "נקוביו" وجاء في تفسير מלאכת שלמה أن المقصود هو السائل المنوي بينما قال الربي عوفديا من برطنورا أن المقصود هو الخصيتان والعضو الذكري.

استعمل الفقهاء كلمة מילה ،التي تعني الختان، كناية عن العضو الذكري. فجاء في التشريع الثالث من الفصل التاسع من باب السبت (שבת): "من أين عرفنا أنه يمكن أن نغسل (الختان) في اليوم الثالث إن كان سبتًا".
والمقصود موضع الختان؛ أي العضو الذكري.

استعمل الفقهاء بعض الكلمات والتراكيب للإشارة إلى رحم المرأة. وهي: كلمة קבר التي تعني قبر. والمركب الإضافي בית תופרה وكذلك בית הבושת فجاء في التشريع الثاني من الفصل التاسع من باب ما خصص لغير الرب (חולין): "עור בית הבושת" كناية عن رحم المرأة.

استعمل الفقهاء كلمة (وجهها) للإشارة إلى العضو التناسلي للمرأة، عند الحديث عن الجماع. فجاء في التشريع الثالث من الفصل الثاني من باب الحائض (נידה): "حين تنزل عن الفراش وتغسل وجهها" حيث فسرها راشي بأن المقصود (وجهها الخاص بفراش الزوجية أي العضو التناسلي)

بعض الأمراض أو الإصابات المزمنة

سبق أن أشرنا إلى استهجان فقهاء المشنا الإشارة إلى من فقد بصره بالألفاظ المعتادة التي تصف تلك الحالة، واختيارهم التركيب الإضافي الوصفي סגי נהור الذي يعني: عظيم الضياء كناية عن ذلك. وقد جاء في الصفحة الثامنة والخمسين من باب الأدعية من التلمود البابلي: "كان الربي ششت عظيم الضياء". والمقصود أنه لما يكن بصيرًا.

وهكذا نلاحظ كيف وضع فقهاء المشنا بدائل أكثر تهذبًا ولياقة للتعبير عن الموضوعات المشار إليها آنفًا. فالإنسان يصطنع الالفاظ للتعبير عما يخطر في ذهنه، وتكتسب هذه الالفاظ بمرور الزمن صفة ليست في غيرها من الرموز الاصطلاحية؛ فهي ترتبط بالفكر الإنساني ارتباطًا وثيقًا، ويصعب تصور أي نوع من التفكير بدونها[31].

الخاتمة ونتائج البحث

1- يطلق مصطلح (فترة المشنا) في الدراسات التاريخية على الفترة التي لمع فيها فقهاء المشنا في الوسط اليهودي، وقد اختلف الباحثون في تقديرها، فصرها البعض على القرون الميلادية الثلاثة الأولى، بينما رأى البعض الآخر أنها تمتد إلى القرن السابع الميلادي.

2- مصطلح (فترة المشنا) مصطلح تاريخي لا علاقة له ببداية ظهور المشنا التي تعود لما قبل الميلاد ببضعة قرون.

3- عاش اليهود في فترة المشنا في ظل الحضارات الهلينستية والبابلية والفارسية والعربية، وهو الأمر الذي وضح أثره في انتقالهم من البداوة إلى الحضارة وتمثل في تهذيب خلقهم.

4- تبنى اليهود في فترة المشنا فكرة العلاقة بين الدين والأخلاق واعتبروها تقليدًا لذات الإله الذي وصلت أقواله إلى البشر في صيغ حسنة شديدة التهذب.

5- جاءت لغة المشنا انعكاسًا حضاريًا للمؤثرات الحضارية الثقافية سابقة الذكر، فكانت لغة منتقاة مهذبة، تتبع أصول اللياقة وتتجنب ما يسيء إلى السامع مما يستقبح ذكره.

6- نتج عن التزام فقهاء المشنا حدود اللياقة والتهذب في أقوالهم وكتاباتهم، وجود مجموعة من المحظورات اللغوية (التابو) تجنبوا التصريح بها، وكنوا عنها ببدائل أكثر تلطفًا.

7- أدى ميل فقهاء المشنا إلى الكناية والتلطف إلى تطور وتغير دلالة الكثير من المفردات العبرية في عصر المشنا.

تمثلت مجالات الحظر اللغوي في المشنا فيما يلي:

أ- الألفاظ الدالة على العلاقات الجنسية الشرعية وغير الشرعية.

ب-الألفاظ الدالة على بعض العمليات الحيوية في جسم الإنسان وبعض الممارسات.

ت-الحديث عن أو مع شخص ذي قداسة.

ث-الألفاظ الدالة على الأعضاء التناسلية للجنسين.

ج- بعض الأمراض أو الإصابات المزمنة.

Abstract

Taboo in Mishnaic Hebrew

By Maiada Shehab

The research deals with a semantic linguistic study of Mishnaic Hebrew in the light of sociolinguistics. The study deals with a group of vocabulary and structures that the Mishna jurists saw in it a form of impoliteness and disrespect for. The Mishna jurists avoided these vocabulary and structures completely and considered them to be linguistic taboos that should not be used. And they put alternatives that express the intended meaning. This came as a result of their being influenced by the morals of the Hellenistic civilization in the first place, and then other civilizations such as the Babylonian and Sassanid civilizations.

الهوامش

[1]) هدسون : علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: دز محمود عياد، مراجعة: دز نصر حامد أبو زيد، عالم الكتب، الطبعة الثانية، القاهرة 1990، ص 12، 13.

[2]) إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الخامسة، القاهرة 1984 ص 45: 47.

[3]) علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، القاهرة 1951، ص 9، 10.

[4]) إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص 173.

[5]) محمود السعران: اللغة والمجتمع، الطبعة الثانية، الاسكندرية 1963، ص 132.

[6]) chumming gao: A sociolinguistic study of English taboo language, theory and practice in language studies vol. 3, finland 2013, p.1.

Sanja A. Nikovic: was Mann wann und wo nicht sagen darf- über Tabus in der Sprache, the journal of language and literature of the faculty of philosophy in Navi Sad vol.1 2011, p.150.

[7]) أبو منصور الثعالبي: الكناية والتعريض، دراسة وشرح وتحقيق: عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998، ص 46.

[8]) أبو منصور الثعالبي، المرجع السابق، ص 48.

[9]) هادي نهر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية، الطبعة الأولى، العراق 1988، ص 30 وما بعدها.

[10])Dr. Tzvee Zahavy: Judaism: the Mishnaic period, Published in the **Anchor Bible Dictionary**, New York, 1992,vol. III, pp. 1083-1089. https://www.tzvee.com/Home/the-mishnaic-period.

אברהם מלמט ואחרים: תולדות עם ישראל، הוצאת דביר תל אביב 1969، עמ' 295.

[11]). Tzvee Zahavy: Judaism: the Mishnaic period.

[12]) אברהם מלמט، שם، עמ' 297.

[13]) Julia Annas: The Hellinistic version of Aristotle’s ethics, The Monist: International quarterly journal of general philosophical inquiry, vol. 73, no.1, published by oxford university 1990, p. 84.

[14]) مصطفى النشار: فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، دار الثقافة العربية، القاهرة 2006، ص 218.

[15]) ישראל אפרת: אתיקה ודת، מאזנים، כרך ט"ז، אגודת הסופרים העברים בישראל 1963، עמ' 111.

[16]) سيجموند فرويد: الطوطم والتابو، ترجمة: بوعلي ياسين، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، الطبعة الاولى 1983، ص 41.

[17]) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، القاهرة 1998، ص 239، 240.

[18]) سيجموند فرويد، المرجع السابق، ص 42.

[19]) سيجموند فرويد، المرجع السابق، ص 42.

[20]) إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص 8.

[21]) محمود السعران، المرجع السابق، ص 133. وانظر أيضًا:

Jonathan Culpeper: Taboo language and impoliteness, paper published in oxford handbook, new York, oxford university 2019, p. 1,2.

[22]) علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 15، 17.

[23]) Dr. Tzvee Zahavy: Talmud and taboo, https://www.tzvee.com/Home/talmud-and-taboo.

[24]) علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 20، 21.

[25]) علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق ، ص 15، 17.

[26]) إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص 140 وما بعدها.

[27]) תלמוד בבלי، כתובות סה ב.

[28]) תלמוד ירושלמי، כתובות פ"ה، ל' ע"ב.

[29]) תלמוד בבלי، ברכות יג א.

[30]) תלמוד בבלי، יבמות צב א.

[31]) إبراهيم أنيس: المرجع السابق، ص 73.

المصادر والمراجع

العربية

المراجع

1-إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الخامسة، القاهرة 1984.

2-أبو منصور الثعالبي: الكناية والتعريض، دراسة وشرح وتحقيق: عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998.

3-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، القاهرة 1998.

4-سيجموند فرويد: الطوطم والتابو، ترجمة: بوعلي ياسين، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، الطبعة الاولى 1983.

5-علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، القاهرة 1951.

6-محمود السعران: اللغة والمجتمع، الطبعة الثانية، الاسكندرية 1963.

7-مصطفى النشار: فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، دار الثقافة العربية، القاهرة 2006.

8-هادي نهر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية، الطبعة الأولى، العراق 1988.

9-هدسون : علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: دز محمود عياد، مراجعة: دز نصر حامد أبو زيد، عالم الكتب، الطبعة الثانية، القاهرة 1990.

العبرية

المصادر

1-תלמוד בבלי، כתובות סה ב. הוצאת תורה לעם، ירושלים 1958.

2-תלמוד בבלי، ברכות יג א. הוצאת תורה לעם، ירושלים 1958.

3-תלמוד בבלי، יבמות צב א. הוצאת תורה לעם، ירושלים 1958.

4-תלמוד ירושלמי، כתובות פ"ה، ל' ע"ב.

المراجع

1-אברהם מלמט ואחרים: תולדות עם ישראל، הוצאת דביר תל אביב 1969.

2-ישראל אפרת: אתיקה ודת، מאזנים، כרך ט"ז، אגודת הסופרים העברים בישראל 1963.

الأوروبية

1- chumming gao: A sociolinguistic study of English taboo language, theory and practice in language studies vol. 3, finland 2013, p.1.

2- Jonathan Culpeper: Taboo language and impoliteness, paper published in oxford handbook, new York, oxford university 2019, p. 1,2.

3- Sanja A. Nikovic: was Mann wann und wo nicht sagen darf- über Tabus in der Sprache, the journal of language and literature of the faculty of philosophy in Navi Sad vol.1 2011, p.150.

4- Dr. Tzvee Zahavy: Talmud and taboo, https://www.tzvee.com/Home/talmud-and-taboo.

5- Dr. Tzvee Zahavy: Judaism: the Mishnaic period, Published in the *Anchor Bible Dictionary*, New York, 1992,vol. III, pp. 1083-1089. https://www.tzvee.com/Home/the-mishnaic-period.

6- Julia Annas: The Hellinistic version of Aristotle's ethics, The Monist: International quarterly journal of general philosophical inquiry, vol. 73, no.1, published by oxford university 1990.